

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



البنية المعرفية لتفسير:
(أول ما قيل في تفسير آيات التنزيل)
للعالم محمد رشيد الخطيب الموصلي

فضيلة الشيخ: محمد مكي



تفسير "أولى ما قيل في آيات التنزيل"

قصتي مع هذا الكتاب

كلمات في ترجمة رشيد الخطيب (١٣٠٣-١٤٠٠) عن ٩٧ عاماً رحمه الله
تعريف بدراسة الأخ الدكتور خالد حماش حول منهج رشيد الخطيب.
مصادر تفسيره:

- التفسير النقلي ، التفسير العقلي ، القراءات ، اللغة والنحو والصرف ، البلاغة.
- كان شديد الغيرة على الإسلام محباً له ولأهله ، متبعاً الأخبار المحلية والعالمية، مهتماً بشؤون المسلمين.
- كان ينمي ملكة الاجتهاد في نفس الطالب، ويقول: من كان عنده رأي غير رأيي فليذكره، فربما كان أقرب إلى الصواب من رأيي. لا تسلموا لي بكل ما أقول.
- كان واسع المعرفة ، عميق الفكرة ، منفتحاً على عصره ، سهلاً في فتاواه ، شديد التمسك بالسنة ، محباً لأهلها ، مبغضاً لأهل البدع ، ناصحاً لهم وداعياً .

- يقول : لم أكن أعرف تميزاً عن أقراني حتى وردتنا كتب المصريين ، أمثال محمد عبده ، ورشيد رضا، وعرفت أن للعلوم معنى آخر غير الذي كنا نقف عنده.
- استغرق في كتابه (التفسير) أكثر من ٣٥ عاماً ، وأعقبها بـ ١٥ سنة أخرى في التنقيح والإضافة.

- تذوقه بلاغة القرآن العالية وعجزه عن دقة تصوير ما يشعر به ويفهمه.
- يقول : ما أنا سوى قطرة بحر من كنوز هذا القرآن العظيم ، ولو كتبت اليوم لكتبت شيئاً جديداً مختلفاً .

- من نظراته الاصلاحية في كتابه (أولى ما قيل):

- دعا إلى فرض توحيد لغة الدين ؛ لتكون عالمية عامّة في الناس أجمعين.

- رأى أن أول خلل كبير في الرابطة الدينية والجامعة الإسلامية **إبعاد اللغة العربية من أن تكون لغة الدولة الرسمية.**

- **تكلم عن عناصر الحكومة الإسلامية :** أن تكون عربية، وأن تكون لغتها

الرسمية عربية ، تحقيق الوحدة والشورى ، وحسن اختيار الموظفين ، والعدالة في المحاكم ، ودواوين الحكومة ، ونظام الحكومة لا يجوز فيه الملوكية والوراثية ، ويجب أن يكون على أساس الانتخاب الصحيح العادل.

مقدمات المؤلف:

- ١- في الكلام على نزول القرآن مكيّه ومدنيّه، و مجمل أهدافه وأغراضه ، وخصائصه .
- ٢- في تفصيل خصائص القرآن في أساليبه ومفرداته وتراكيبه من الحذف والإيجاز ، وأنواع الإعجاز ، كالجمع بين الموضوعات المتفرقة، والتفريق بين المتحدة ، لدواع بلاغية ومقتضيات منطقية، وكالتريد والتكرار ، والإظهار في موضع الإضمار . ذكر فيها ١٩ مادة، وألحق لاحقة لهذه المقدمة في التفسير لبعض آيات يتكرر أمثالها في القرآن ، أو هي من الآيات المهمة البيان التي تحتاج في التفسير إلى زيادة وتوضيح وإتقان. في ٥٦ صفحة.
- ٣- في معاني القرآن الدقيقة، ومدلولات تراكيبه الواسعة البعيدة المرمى . أورد فيها مادتين، وعرض فيهما نماذج من بلاغة القرآن.
- ٤- فيما يوهم ظاهره الاختلاف في آيات القرآن . أورد فيها مادتين.
- ٥- في أنواع الخطاب في القرآن. أورد ١٦ نوعاً من أنواع الخطاب.

٦- في أنواع المجازات في القرآن . أورد فيها مادتين .
٧- القرآن والعلوم الكونية فيه . أورد فيه عدداً من الآيات المطابقة
للاكتشافات العلمية، وأكد أن (القرآن لم ينزل لتقرير نظريات علمية
، وحقائق فلكية ، ووقائع تاريخية ، وإنما هو كتاب هداية وتقرير
دين).

٨- القرآن وغرائز الإنسان (القوة الغضبيّة ، القوة الشهوانيّة).

٩- أثر القرآن في النفوس السليمة من الانحراف.

١٠- القرآن والأديان السماويّة الصحيحة وأمّهات أصولها الثابتة.

١١- في كيفية نزول القرآن، وترتيبه، وقراءاته بلهجات العرب،

وتجويده.

١٢ - القراءات السبع في القرآن. لم يفرق بين القراءات
السبع والأحرف السبعة فوق في عدة أخطاء وإشكالات.

١٣ - القرآن والنسخ: النسخ في الشرائع وفي الشريعة
الواحدة بأحكام أخرى.

١٤ - في إجمال بعض مواضيع القرآن المتعلقة بالإنسان
ومصالحه دنيا وأخرى (الوجود - الإنسان - العلم - العدالة
- الدنيا - العبادات - الجهاد - الحكومة - المعجزات -
الولاية والكرامة في القرآن - الشفاعة والتوسل في نظر
القرآن. ثم ختم المقدمة بكشاف لبعض المواضيع المهمة
التي جاءت في خلال هذا التفسير)

مظاهر المنهج العقلي لدى الشيخ رشيد الخطيب:

- ١- تسويغ التفسير العقلي في ضوء قلة المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير.
- ٢- ميله الواضح في اختيار مصادر تفسيره إلى أصحاب الرأي والمنهج العقلي.

٣- تأويل الآيات المتشابهة بردها إلى الآيات المحكمات:

١ - قاعدة الهدى والضلال:

- ٢ - الإنسان والجان والملائكة قد وهبوا العقل ، وما عداهم من المخلوقات من حيوانات وجمادات... يؤوله الشيخ بما يتناسب والقاعدة العقلية ، فيلجأ إلى المجاز والتمثيل ، كما في قوله تعالى : [ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ] {فصلت: ١١} . وتسبيح المخلوقات.

- ٣ - عصمة الأنبياء من الخطأ.

- ٤ - موقفه من المعجزات: وتكلف صرف كثير منها إلى السنن الطبيعية.

٥ - **التفسير العلمي:** استفاد من الحقائق العلمية في كشف مدلول بعض الآيات القرآنية، وبين الحكمة من طائفة من أوامر القرآن ونواهيه بالمكتشفات العلمية. لكنه بالغ في تفسير الأحداث المستقبلية الغيبية ، كالبعث والنشور بالظواهر والقوانين العلمية.

تأثره بمدرسة الإمام محمد عبده

- ١ - بيان سنن الله في الخلق ونظام الاجتماع البشري، وأسباب ترقى الأمم وقوتها وضعفها أو علم أحوال البشر وطبائعه والسنن الإلهية فيه.
- ٢ - الوحدة الموضوعية بين الآيات (علم المناسبة) فالسورة وحدة مؤتلفة تترابط أجزاؤها وتتماسك معانيها لتكون ذات موضوع واحد لا تتنافر فيه.
- ٣ - الوحدة الموضوعية في كل سورة، والتناسب بين السور.



٤-التوجه العقلي في التفسير ، وعدم الوقوف عند آراء المفسرين، وتفهم ظروف عصرهم .

٥- دعوته إلى الاستفادة من تراث المسلمين كله ، والرجوع إلى المحكمات الواضحات.

٦ - أثر المجتمع الذي نشأ فيه.

ما انفرد به أو أغرب من تأويل

- خروج يأجوج ومأجوج.

- سد ذي القرنين.

- تأويله الغريب لدابة الأرض.

نظرات في تفسير (أولى ما قيل)

- السؤال والجواب في القرآن.

- هل يستخدم القرآن التخيل والتجسيم؟

- تأويله جريان الشمس بأداء الواجب.

- معنى السبع المثاني ، وهل السبع للتكثير أم للتحديد؟

- عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال وحمل الإنسان لها.

- 
- تأويله مرج البحرين والبرزخ بينهما.
 - سنة الله في الهداية والضلال.
 - سنة الله في الرزق والشفاء.
 - ميله إلى مذهب المعتزلة في الشفاعة.
 - نفيه الرؤية يوم القيامة.

أجوبة فضيلة الشيخ عبد الكريم تتان

عقدت لها مدخلاً خاصاً في المقدمة، أجاب فيه عن عشرة أسئلة أرسلتها إليه في ١٨١ صفحة من ٣٠١-٤٨٢.

ملاحظات وتنبهات

- بذل المفسرون كل ما منحوه من طاقات لتجلية المعنى بقدر طاقتهم البشرية ، والمفسرون ليسوا سواء ، فمنهم المحقق المدقق ، ومنهم الذي ينقل الأقوال دون تمحيص ولا ترجيح.
- لسنا ملزمين بكل ما جاء في كتب التفسير وأقوال المفسرين ، وقد يفتح الله لمتأخر ما لم يفتح به لمتقدم.
- اختلاف المفسرين أمر نافع ، فيه ثراء للفكر وإغناء للمعنى ، وأكثر اختلافاتهم في أمور فرعية ، وفيها فوائد فكرية واجتماعية.
- كل تأويل يخالف اللغة والمأثور الثابت، ويعارض بذلك الجمهور لا ينبغي أن يكون له مكان بين الآراء، ولا لمقولته ذكر بين العلماء .

- للشيخ محمد عبده ومدرسته أعظم الأثر في تقريب فهم القرآن من القلوب وتنقية التفسير من كثير من الشوائب ، والابتعاد عن جو الخرافات والإسرائيليات والتعصب للمذاهب الفقهية والكلامية، وإلباسه ثوباً جديداً، يتناسب مع إدراكات الناس في هذا العصر.

- لهذه المدرسة هفوات وكبوات، خرجت بالنص القرآني عن معناه الظاهر إلى تأويلات بعيدة وتفسيرات غريبة.

- لهذه المدرسة -مع ما لها من فضل- أثر في انحراف بعض المفسرين، الذين تستروا ببعض آراء تلك المدرسة، وروجوا بعض الأقوال الشاذة في تفسير القرآن.



والحمد لله رب العالمين
المحاضرة على الرابط التالي

<http://www.islamsyria.com/portal/media/show/593>